المحاضرة الثالثة : التفاعلية الرمزية وإسهامها في تحليل المشهد الحضري ارفينغ غوفمان 1922-1982

تمهيد:

في الواقع ان تحليلات التفاعلية الرمزية كنظرية سسيولوجية معاصرة تعكس مرحلة عملية وبحثية جديدة في مجال علم الاجتماع اذ تهتم التفاعلية الرمزية بتحليل الانساق الاجتماعية الصغرى فهي تدرس الافراد في مجتمع ومفهومهم عن المواقف و المعاني و الادوار و انماط التفاعل وغير ذلك من الوحدات الاجتماعية الصغرى وذلك عكس النظريات او الاتجاهات التي تهتم بتحليل الانساق او الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل المنظور الوظيفي و منظور الصراع,

ومن ابرز ممثلي التفاعلية الرمزية : جارسلي كولي جورج هربت ميد هربرت بلومر ارفينغ غوفمان

انطلاقة السوسيولوجيا التفاعلية الرمزية:

كانت السوسيولوجيا الامريكية في نهاية الالخمسينات تحت هيمنة نهجين فمن جهة اول النظرية البنيوية الوظيفية لتالكوت بارسونز ومن جهة اخرى السوسيولوجيا التكميمية و الاحصائية لبول لازار سلف(د وبشكل جزئي وكرد على هذه الهيمنة المزدوجة ستنبعث مدرسة شيكاغو ثانية من رمادها فتحت اسم التفاعلية الرمزية وهو تعبير صاغه عام 1937 هربرت بلومر و التي جرت العادة على دعوتها مدرسة شيكاغو الثانية طورت طريقة جديدة بالكامل في التفكير بالمجتمع وفي تحليله.

مفهوم التفاعلية الرمزية:

وفقا لتصور التفاعلية الرمزية في الحياة هي تفاعل الانسان باستخدام الرموز و الاشارات ويشير مفهوم التفاعلية الرمزية الى التفاعل الذي ينشا بين مختلف العقول و المعاني و الذي يعد سمة مميزة للمجتمع الانساني ويستند هذا التفاعل الاجتماعي على حقيقة هامة هي ان ياخذ المرا ذاته في الاعتبار تلك الصورة التي تعبر صادقا عن التفاعل و التساند و الاعتماد المتبادل بين الفرد و المجتمع و بين السلوك الخارجي و الذات الاجتماعية.

يقول بلومر ان التفاعل الرمزي يشير الى الطبيعة الخاصة و المميز للتفاعل الذي يحدث بين الكائنات البشرية وتكمن خصوصية التفاعل في ان الكائنات البشرية تفسر افعال بعضها عن طريق الرموز ذات المعاني المشتركة وأضاف بلومر الة النظرية التفاعل اهمية البيئة الاجتماعية بالنسبة للتفاعل الذي يجري بين الاشخاص ويقترح بان الناس يحملون مجموعة من الافكار والقيم المكتسبة التي قد تؤثر على ادراكهم المختلف المواقف.

الجذور التاريخية التفاعلية الرمزية :

لقد برزت وشاعت التفاعلية الرمزية في الولايات المتحدة الامريكية بصورة خاصة وتاثرت هذه المدرسة بصورة غير مباشرة بالفكر ماكس فيبر غير ان اصولها المباشرة كانت في اعمال الفيلسوف الامريكي جورج هربرت ميد 1863-1931فالتفاعلية الرمزية تعني القضايا المتصلة باللغة و المعنية ويزعم ميدي ان اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا .

وقرر ميد ان اللغة تمثل الخاصية المميزة للإنسان وأنها ظهرت نتيجة للتفاعل بين الافراد و اول صورة لها هي الاشارات التي يعبر بها لإنسان عن انفعالاته لتصبح هذه الاشارات وسيلة هامة في التفاعل الرمزي من خلال معنى يتفق عليه كل اعضاء المجموعة .

قدم بلومر فرضيات اساسية تقوم عليها هذه النظرية و التي تتمثل فيما يلي:

-يتصرف البشر حيال الاشياء على اساس ماتعنيه تلك الاشياء لهم.

-هذه المعاني هي نتائج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني.

-هذه المعاني تدور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الاشارات التي يواجهها .

-اهم مفاهيم التفاعلية الرمزية:

التفاعلية الرمزية تطرح عدة مفاهيم لم يسبق طرحها من خلال النظرية البنائية او الماركسية ونجد اهمها؟

-التفاعل: سلسلة متبادلة ومستمرة في الاتصالات بين فرد وفرد مع جماعة او جماعة مع جماعة

المرونة: ويقصد بها استطاعة الانسان ان يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد وبطريقة مختلفة في وقت اخر وبطريقة متبادلة في فرصة ثالثة

الرموز: هي مجموعة من الاشارات المصطنعة يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل وهي سمة خاصة في الانسان

الوعي الذاتي: وهي مقدرة الانسان على تمثيل الدور فالتوقعات التي تكون لدى الاخرين عن سلوكيات في ظروف معينة وهي بمثابة نصوص يجب لعبها لاحتى تمثلها على خد تعبير كوفمان وهو مايتعلق عادة بصورة الفرد عن نفسه الناتج عن خبراته في التفاعل مع الافراد الاخرين

النظرية التفاعلية الرمزية عند ارفنج كوفمان Ervige goffman

ان التفاعلية الرمزية تعكس مرحلة علمية وبحصية جديدة في علم الاجتماع ظهرت بصورة خاصة بعد انتهاء العرب العالمية الثانية حيث ركزت التحليلات السوسيولوجية على دراسة القضايا و المشكلات صغيرة وذلك بعد نقد التحليلات السوسيولوجية التقليدية كالوظيفية و الماركسية.

إ- رفينج كوفمان والمنظور المسرحي (نظرية المسرح Ervige goffman)

ولد ارفينخ كوفمان عام 1922 في كندا الناطقة بالانجليزية في عائلة يهودية من اصل روسي وتابع دراسته السوسيولوجيا في شيكاغو وتعمق تحديدا في اعمال ميد وفرويد وفيبر وراد لاكليف براون و دوركايم وزيمل الذي اخذ منه المقاربة السيكولوجية

دافع عن اطروحته عام 1953 حول طريقة التواصل في قلب جالية تعيش وبعدها مارس التعليم لفترة قليلة في بيركلي و فيلادلفيا و في الحقيقة كان قد جذبه البحث ولن يتوقف فكره عن التطور حتى مماته عام 1982 .

Clifford shawتابع تحصيله العلمي في جامعة شيكاغو متاثرا باستاذه كبار امثال روبرت بارك وكليفورد شو ولاق غوفان تشجيعا كبيرا من مشرفه لويد وارنز دفعه الى البحث المعمق في مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية وقد انتهى به الامر الى القيام بدراسة انثروبولوجيا حول البناء الاجتماعي لسكان جزيرة

شيتلاند بين شهري ديسمبر من عام 1949 ومايو عام 1951 يسجل ملاحظاته بمنهجية المشاركة الحية كوفمان لم يكن من اولائك الذين تستهويهم الكتابة بل ان دينه كان التخلص من المسافة التي تفصله بصفة باحث عن الظاهرة محل الدراسة و الانغماس فيها

انتجاته العلمية:

ترك ارثا فكريا مهما جدا في مجال علم الاجتماع اليومي ويتمحور ابحاثه حول التفاعل الدرامي الرمزي وأثره في تشكيل الحياة الاجتماعية في مختلف تجلياتها الانسانية وقد ترك العديد من الدراسات منها:

تصور الذات في الحياة اليومية 1959 المصحات النفسية العقلية – تقديم الذات 1956 اول عمل له الوصمة 1963 –صور الكلام 1981 مواقف 1961 السلوك في الاماكن العامة 1963

غوفمان و الاستعارة المسرحية:

نظرية المنظور المسرحي هو توجه نظري يرتبط عادة بالتفاعلية الرمزية و النظرية الدور وإعمال ارفينغ غوفمان اين تم استخدام خشبة المسرح وفكرة المسرح كوسيلة استعمارية اساسية في تنظيم افكاره و الحقيقة ان هذه الافكار ليست حديثة بل قديمة جاءت مع كل من شيكسبير و مكيافيلي اما علم الاجتماع الحديث فقد طورها ارفنغ وقدمها في اكمل صورة .

-العالم كمسرح(المسرح الحضري):

كان كوفمان صاحب انجاز اصيل ذي تأثير هام فهو يرى بان التفاعلات وجها لوجه تشكل الشبكة الاجتماعية غير ان عملية التفاعل بين شخصين هشة ولهذا السبب يتم ضبطها عن طريق الطقوس طقوس التفاعل في الواقع يدعم كوفمان ان الحياة الاجتماعية هي نوع من المسرح يلعب الافراد دورا على خشبته وعليهم ان يتظاهروا بأنهم يحملون محل الجد دور الاخرين.

كما ينطق غوفمان في دراسته للحياة الاجتماعية بما تحتويه من ابنية اجتماعية وما تفرزه من تصرفات فردية وشبكة تفاعلات اجتماعية من مدخل خاص ومتميز عن غيره من انصال التفاعلية الرمزية و الذي يشبه من خلاله الحياة الاجتماعية بالمسرح فهناك نوع من المماثلة المسرحية التي يقيمها كوفمان ويؤكد من خلالها ان الافراد الفاعلون الاجتماعيون في حياتهم اليومية يتماثلون تماما مع الممثلين على خشبة المسرح وهم بذلك يقومون بادوار اكروباتية ويعلن بان الفرد ليس اخلاقيا ولكنه يسعى لان يكون كذلك

وينظر لشخصية الفرد على انها تتكون من شطرين : وجه ايجابي يظهره للغير و الوجه السلبي يحاول اخفاءه عن الغير .

قدم في اشهر كتبه تقديم النفس في الحياة اليومية سنة 1971 دراسة حول سكان جزر شتلندا وهي جزر تقع قرب الساحل الاسكتلندي في بريطانيا حيث كانوا يتركون واجهات بيوتهم تتآكل مخافة ان يعتقد الملاك ان سكانها قادرون على دفع الايجار اعلى ويرى كوفمان بهذا الشكل الى جميع اوجه الحياة من اكثرها خصوصية الى اكثر جوانبها علانية وظهورا.

من خلالها يصف الى اي مدى ينبغي للمرء ان يحترم حدود المجال الخاص لشخص اخر واحد هذه الممارسات هو ما سماه كوفمتان عدم الانتباه المدني القاعدة الاجتماعية لاظهار قدر مناسب من اللامبالاة للآخرين وهي اساسية للحفاظ على الخصوصية

فحسب كوفمان يحتاج المراء الى اكتساب صفات المدينة من خلال جعل نفسه قابلا للانحراف من الناحية المدنية ومن خلال عدم فرض نفسه على انتباه الاخرين من خلال سوء التصرف الشديد يتم تحقيق ذبك السلوك ويمكن الاستعانة بالدعائم المادية.

نقد نظرية غوفمان :

لقد تعددت الكتابات حول هذا الموضوع وتعددت معها وجهات النظر حول منهج غوفمان الدرامي في تصويره للحياة اليومية التي يعيشها الافراد حيث ينظر اليها بالإيجاب على انها السمة البارزة للمجتمع الصناعي او المجتمع الخدماتي وهناك من يقيمها على اساس ان الحياة الانسانية ليست كلها تمثيليات وهناك من ينظر اليها بتحفظ.

قد تواترت الانتقادات الموجه الى غوفمان من قبل عالم الاجتماع الفرنس بيير بورديو الذي انتقد تركيز غوفمان الى الفرد و تجاهله لتفاعلات الاجتماعية التي تمارسها التكوينات الاجتماعية و الطر الثقافية الكبرى في المجتمع واخذ على غوفمان تجاهله لديناميت القوة الطبقية و المتفاوتات الاجتماعية المؤثرة في عمليات التفاعل وفي صوغ هوية الفرد وتكوينه الانساني .

وقد وجه عالم الاجتماع المعروف غولدنر نقده الواضح لغوفمان رغم اعجابه الشديد بنظريته ةتمحور نقده حول ضعف القدرة التفسيرية الشمولية لنظرية غوفمان و السيما فينا يتعلق بالظوهار الاجتماعية

الكبرى كالسلطة و الطبقة و الثقافة و الهجرة و التفاوت الاجتماعي وهي قضايا سجلت غيابها في نظرية غةفمان الذي اكتفى بمنهجية الذرية الجزئية في علم الاجتماع و يلاحظ غولدنر .

ان غوفمان غرق في جزيئات الحياة اليومية الى الدرجة التي لم يستطيع معها ان يرى ما حولها وما فوقها من ظواهر اجتماعية ولم يستطع البتة ان يحقق التوازن بين الجزيئات التي تناولها بالدراسة وبين الكليات و التكوينات الشمولية في المجتمع اي بين الظواهر الفردية البسيطة وبين الظواهر الكلية الشاملة وبصيغة اخرى يلاحظ غولدنر ان غوفمان اعتمد سوسيولوجيا الحياة اليومية دون ان يبحث في تأثير الظواهر الكبرى مثل الطبقة و الثقافة و السياسة في مجريات الحيات اليومية اذ لا نجد اي تأثيرات للنوع و الطبقة و العرقية في نعت غولدنر علم اجتماع غوفمان بعلم اجتماع الاحتيال وذلك نظرا لتغييب السياق الاخلاقي في تحليل غوفمان المسرحي للعلاقات الاجتماعية .

من الواضح ان معظم الانتقادات قد تمحورت حول تجاهل غوفمان للظواهر الكبرى و تأثيرها في تفاعلات الحياة اليومية كما تجاهل ايضا تأثير الظواهر الصغرى للحياة اليومية في تشكيل الظواهر الكبرى ويتضح ان الهوة الكبيرة بين سسيولوجيا المصغرات وسسيولوجيا الظواهر الكبرى ولذا يعاب على مدخل غوفمان سعيه الى رصد الفريد و المتفرد و الصغير في الحياة اليومية بعيدا عن القضايا الكبرى التي شكلت هاجس علماء الاجتماع على مدى قرن من الزمان .

خاتمة:

تعد نظرية ايرفنغ غوفمان الدرامية مدخلا سوسيولجيا دراميا متطور لفهم السلوك الاجتماعي وتحليل التفاعلات الانسانية في مسار الاستكشاف الاعمق لخفايا السلوك الانساني وتشكل نظريته هذه بلورة مكثفة لمختلف الاتجاهات الاساسية في نظريات التفاعل الاجتماعي و الرمزي على حد سواء وتمكن عبقرية غوفمان في تناوله لمختلف الظواهر الاجتماعية وفق طريقة مبتكرة تعتمد التمثيل المسرحي الرمزي منهجية صميمية في استكشاف ابعاد السلوك الانساني نفسا و اجتماعيا حيث تناولت دراسة ارفينغ غوفمان ومدخله الدرامي الذي تناول فيه مختلف اوجه التفاعل الرمزي الدرامي بين افراد المجتمع .